جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الأنساق الثقافية في شعر بدر شاكر السياب

إعداد

د/ قلم اللّه wu Gelan
دكتوراه العربي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الأنساق الثقافية في شعر بدر شاكر السياب

قلم الله wu Gelan
دكتوراه العربي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر.
البريد الإلكتروني: oranwu1995@qq.com

الملخص:
يسعى هذا البحث إلى استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة في شعر السياب، وتحليل تجلياتها من خلال مضامينه ورموزه وأساليبه التعبيرية. ويركز البحث على كيفية توظيفه للتراث، والدلالات السياسية والاجتماعية الكامنة في نصوصه، فضلًا عن استنطاق البعد الأسطوري والديني في تجربته الشعرية. كما يحاول الكشف عن مدى وعي السياب بهذه الأنساق، وما إذا كان يعيد إنتاجها أم يحاول تفكيكها وتجاوزها، وبذلك، فإن هذه الدراسة لا تهدف فقط إلى تحليل شعر السياب من منظور جمالي، بل تسعى إلى سبر أغوار الخطابات الثقافية المتداخلة فيه، وفهم آليات التفاعل بين النص الشعري والمجتمع، وهو ما يسهم في إثراء الدراسات النقدية حول الشعر العربي الحديث، وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من تناولها شاعراً كبيراً يحظَى باهتمام واسع في الدراسات النقدية وغيرها. وقد تم الاعتماد على إحدى أدوات النقد، وهي "الأنساق الثقافية"؛ لما تمتلكه من قدرة على الكشف عن منظور الإبداع والمسارات الاجتماعية التي أسهمت في تشكيل هذا المنظور، مما يجعلها أداة مساعدة في تحليل النصوص، يمثل النص علامة ثقافية قبل أن يكون مجرد قيمة جمالية، لذا جاء اختيار الشاعر بدر شاكر السياب نظراً لما تعكسه نصوصه من ارتباط وثيق بالثقافة، وكيفية استمدادها لمعظم بنياتها الدلالية من هذا البعد الثقافي. في هذا البحث، اعتمد الباحث على منهج القراءة الثقافية، الذي يهدف إلى تحليل الظواهر بردّها إلى مرجعها الثقافي، وهو منهج يوفر إطاراً واسعاً يستوعب العديد من المقاربات النقدية.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية، شعر، بدر شاكر السياب، مضامين الشعر، الرموز.

Cultural Patterns in the Poetry of Badr Shakir al-Sayyab

Qalam Allah wu Gelan
PhD in Arabic, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Alexandria University, Egypt.
Email: oranwu1995@qq.com

Abstract:
This research seeks to explore the cultural patterns implicit in Al-Sayyab's poetry and analyze their manifestations through its content, symbols, and expressive styles. The research focuses on how he employs heritage and the political and social connotations inherent in his texts, as well as exploring the mythological and religious dimensions of his poetic experience. It also attempts to reveal Al-Sayyab's awareness of these patterns, and whether he reproduces them or attempts to deconstruct and transcend them. Thus, this study does not only aim to analyze Al-Sayyab's poetry from an aesthetic perspective, but also seeks to plumb the depths of the cultural discourses intertwined within it and understand the mechanisms of interaction between the poetic text and society. This contributes to enriching critical studies on modern Arabic poetry**.**This study derives its significance from its examination of a major poet who enjoys widespread attention in critical studies and beyond. The research is grounded in one of the critical approaches, namely "cultural patterns," due to its ability to reveal the perspective of creativity and the social pathways that contributed to shaping this perspective, making it a valuable tool for textual analysis, A text serves as a cultural sign before being merely an aesthetic value. Therefore, the choice of the poet (Badr Shakir al-Sayyab) stems from the deep cultural engagement reflected in his works and the way their semantic structures are largely drawn from this cultural dimension. In this study, the researcher adopts the cultural reading approach, which aims to analyze phenomena by tracing them back to their cultural origins. This approach provides a broad framework that accommodates various critical methodologies.

Keywords: Cultural patterns, Poetry, Badr Shakir al-Sayyab, Poetic content, Symbols.

يتناول البحث دراسة الأنساق الثقافية عند بدر شاكر السياب في أربعة فصول:

الفصل الأول :النسق الاجتماعي ويشتمل على أربعة مباحث:

١. النظر إلى المرأة
٢. الحياة والموت
٣. الأسرة والمجتمع

والفصل الثاني: النسق الديني ويشتمل على مبحث واحد:

١. الرموز الدينية

والفصل الثالث :النسق التاريخي ويشتمل على مبحثين:

١. أبطال الإسلام
٢. الأحداث التاريخية المهمة

والفصل الرابع :النسق الأدبي ويشتمل على مبحثين:

١_ الموروث الشعبي
٢_ التناص

مقدمة:

يعدّ بدر شاكر السياب (١٩٢٦-١٩٦٤) أحد أبرز روّاد الشعر العربي الحديث، ومؤسسي حركة الشعر الحر التي أحدثت تحوّلًا عميقًا في البنية الشعرية العربية. لم يكن السياب مجرد شاعر مجدد في الشكل والأسلوب، بل كان شاعرًا معبّرًا عن تحولات عصره، متأثرًا بالسياقات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي عاشها. ومن هنا تبرز أهمية دراسة الأنساق الثقافية في شعره، بوصفها عناصر خفية ومترسّبة في النصوص، تعكس تأثيرات الأيديولوجيا والموروث الثقافي في تشكيل رؤيته الشعرية.

يسعى هذا البحث إلى استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة في شعر السياب، وتحليل تجلياتها من خلال مضامينه ورموزه وأساليبه التعبيرية. ويركز البحث على كيفية توظيفه للتراث، والدلالات السياسية والاجتماعية الكامنة في نصوصه، فضلًا عن استنطاق البعد الأسطوري والديني في تجربته الشعرية. كما يحاول الكشف عن مدى وعي السياب بهذه الأنساق، وما إذا كان يعيد إنتاجها أم يحاول تفكيكها وتجاوزها.

وبذلك، فإن هذه الدراسة لا تهدف فقط إلى تحليل شعر السياب من منظور جمالي، بل تسعى إلى سبر أغوار الخطابات الثقافية المتداخلة فيه، وفهم آليات التفاعل بين النص الشعري والمجتمع، وهو ما يسهم في إثراء الدراسات النقدية حول الشعر العربي الحديث.

أولا: مفهوم الأنساق الثقافية:

تشير الأنساق الثقافية في الدراسات النقدية إلى البِنى والأنظمة الفكرية والقيمية التي تتحكم في تشكيل النصوص والخطابات الثقافية. يُنظر إلى هذه الأنساق على أنها مجموعة المعايير التي تُعيد إنتاج المعاني والرموز داخل المجتمع. ولتوضيح المفهوم أكثر لا بد من تعريفه لغة واصطلاحًا.

١_ لغة:

بالعودة إلى مفهوم الأنساق في اللغة العربية من خلال المعاجم وجدنا أن :

كلمة "الأنساق" هي جمع لكلمة "نسق"، والتي تحمل عدة معانٍ وفقًا للمعاجم العربية المختلفة. ومن أهم المعاني التي وردت في المعاجم:

في معجم لسان العرب (لابن منظور) : « النسق من كل شيء : ما كان على طريقة نظام واحد ، وقد نسقه تنسيقاً ، والتنسيق : الترتيب ... والنسْق ، بالتسكين : مصدر نَسَقْتُ الكلام إذا عطفت بعضه على بعض ، ويقال : نسقت بين الشيئين وناسقت »[١]. يقال "نسّق الكلام «أى رتبه وعطف بعضه على بعض على نظم واحد»[٢]. وجاء في معجم العين «النسق من كل شيء : ما كان على نظام واحد عام في الأشياء ،ونسْقته نسْقا ونسَّقته تنسيقا وتقول: نسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي انتسقت»[٣]. وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: « النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق: جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض ، وأصله قولهم: ثغر نسق ،إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية»[٤]. ويقال «ناسق بين الأمرين أي تابع

١ ابن منظور – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م، ج١٤، ص ٢٤٧

٢ أبو محمد القسم بن علي بن محمد بن عثمن الحريري، طبع مدينة باربر / الجزائر كتاب المقامات: ١٨ ٤٧م ص ٥٤٧ ، ٢

٣ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،ج٤ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط ١ ١٤٢٤ ، ه ٢٠٠٣، م،ص ٢١٨

٤ أحمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، ج٥ ،باب(النون والسين) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،دط،دت، ص٤٢٠

بينهما»[١]. أي جعل الأمر الثاني تابعًا للأول، وبالتالي يكون الأمران منتظمين في تركيبهما وفق نسق واحد. يتضّح من التعريفات السابقة أن النسق هو انتظام الشيء وفق طريقة واحدة، سواء في الأفكار، أو الأشخاص، أو الأشياء. وتستخدم الكلمة في مجالات متعددة مثل الفكر، والأدب، والمجتمع، لتعبر عن بنى مترابطة وفق نظام معين.

٢_ مفهوم الأنساق إصطلاحًا

يُعَدُّ مصطلح "النسق" من أحدث المصطلحات التي برزت في الساحة النقدية مؤخراً، إذ لم يَحُز انتشاراً واسعاً أو استخداماً مكثفاً في الممارسة النقدية إلا مع بروز النقد الثقافي. وقد اعتمد هذا الأخير على الأنساق الثقافية كأداة أساسية في استكشاف خفايا النصوص الأدبية وتحليلها.

وبالرجوع إلى البدايات الأولى لظهور المصطلح في مجال الأدب والنقد، يتضح بجلاء أنه ظهر مع الدراسات اللسانية التي قدمها عالم اللسانيات (فيرناند دي سوسير، Ferdinand de sausure) ؛ فقد استخدم مفهوم النسق في تعريفه للغة، قائلاً: « اللغة عبارة عن نسق من العلامات يعبر عن الأفكار، ولهذا فهي مشابهة لنسق الكتابة وأبجدية الصم والشعائر الرمزية وصيغ المعاملة والإشارات العسكرية، ... ولكنها أعظم أهمية من هذه الأنساق»[٢] . وفي تصور (دي سوسير) ، تُعدّ اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكرة ما، كما أنها « نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص، وهي ليست سوى نسق سميائي يقوم على اعتباطية العلامات، ولا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل»[٣]. قدّم (دي

١ ابن منظور،لسان العرب،باب القاف ،م ١٠،دار صادر بيروت ، دط ، دت ،ص ٣٥٣

٢ أحمد يوسف، القراءة النسقية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ناشرون، الجزائر،ط١، ٢٠٠٧م، ص١١٧

٣ المصدر السابق، ص١١٨

سوسير) من خلال ذلك التصور مفهوم النسق في اللغة، الذي يشير إلى العناصر اللسانية التي تستمد قيمتها من علاقاتها المتبادلة فيما بينها. ويرى المُناصرة أنّ (ليفي شتراوس) strauss–lévi claude) ذهب إلى « اعتبار أن البنية"نسق " يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها ؛أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى » [١] . وبهذا المفهوم يمكن القول: إن النسق عند (دي سوسير) هو البنية عند (شتراوس)، ولكنه لم يصرح بذلك ولكنه قارب بين المعنيين عندما قرن النسق بالنظام.

أما الغذامي فسعى إلى ترسيخ فكرة أن النسق الثقافي يمثل العنصر الأكثر تحكمًا في تكوين الشخصية العربية، ويعود إليه معظم عيوبها وإخفاقاتها. كما يرى أن للشعر العربي دورًا بارزًا في تشكيل هذا النسق، حيث نجده يقول: «النسق الثقافي العربي .... هو نسق كان الشعر ومازال هو الفاعل الأخطر في تكوينه أولًا وفي ديمومته ثانيًا» [٢].

يشير هذا الطرح إلى وجود ثنائية بين النسق الثقافي والنسق الشعري، وهي ثنائية تهيمن على مشروع النقد الثقافي لدى الغذامي .

١ عز الدين المناصرة ، علم الشعريات قراءة مونتاجية في أدبية الأدب ، دار مجلاوي ، عمان ،ط ، ١ ٢٠٠٧م، ص ٥٤٠

٢عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م ، ص٩٣

الفصل الأول :النسق الاجتماعي

المرأة في شعر السياب ضمن النسق الاجتماعي

يعد بدر شاكر السياب أحد أبرز رواد الشعر العربي الحديث، حيث عكست أعماله هموم الإنسان والمجتمع العربي في منتصف القرن العشرين. ولعبت المرأة دورًا محوريًا في شعره، ليس فقط كمصدر للإلهام العاطفي، ولكن أيضًا كرمز اجتماعي وسياسي يعكس التغيرات والتحولات في مجتمعه.

يتجلى النسق الاجتماعي للمرأة في شعر بدر شاكر السياب في عدة أبعاد تعكس واقع المرأة في المجتمع العراقي والعربي خلال فترة حياته، حيث كانت المرأة رمزًا متعدد الأوجه في شعره، يجمع بين الحضور الأسطوري والرمزي والواقعي.

تمثّل الأم عند السيّاب نموذجًا مثاليًا يتجسّد فيه أكمل الصفات الذاتية، فقد كانت في نظره المثال الأعلى، الذي تنعكس فيه كل الأشياء والعواطف والأشخاص كصور مشتقة منه. وبما أن الأم تُمثّل هذا النموذج الرفيع، فقد وجّه السياب طاقته النفسية نحوها، متماهيًا معها تمامًا. ولأنها بلغت في نظره هذه الدرجة من السمو والارتقاء، أصبحت صورة ثابتة لا تتغيّر في وعيه.

لقد كانت هذه الصورة المثالية للأم بالنسبة إلى السيّاب مصدرًا للسكينة العاطفية والنفسية، إذ اتخذ منها نمطًا يطمئن إليه. ومن هنا « فإن اختياره لهذا النموذج وتماهيه معه لم يكن إلا سعيًا منه لتحقيق التوافق بينه وبين الآخرين، أو توجيههم نحو نوع من الانسجام الاجتماعي» [١]. يقول السيّاب :

كوني لغيلان رضى وطيبه

كوني له أبا وأما وارحمي نحيبه

١ عباس عبد الجبار ، المرأة في شعر السياب، مجلة أفكار ١٩٧٩، ص٨٧

وعلميه أن يذيل القلب لليتيم والفقير [1]

تتجسد صورة الأم في هيئة الزوجة – زوجة السياب – لتعبّر عن أسمى معاني العلاقات الإنسانية وأعمق مشاعر الترابط والتكافل والتماسك الاجتماعي. ومن خلال هذا المقطع الشعري، نلمس كيف يسمو الإنسان – بفضل دفء الحنان الأمومي – فوق حدود ذاته، ليمنح السعادة للمحرومين من أبناء مجتمعه «. ويُعد هذا تعبيرًا عن الانتقال من الانغلاق على الذات إلى الاندماج في المحيط الاجتماعي، مما يُجسّد الإحساس بالمعنى الحقيقي للإنسانية، دون أن يؤدي ذلك إلى ذوبان الفرد تمامًا في الكيان الجماعي »[2].

لقد عكست قصائد السياب معاناة المرأة في المجتمع العراقي، حيث صورها كضحية للفقر والتهميش والحرمان. في قصيدة المومس العمياء، يعرض صورة قاسية للمرأة التي أجبرها المجتمع على طريق البؤس. لم تكن المرأة في شعره مجرد كائن عاطفي، بل كانت تجسيدًا لآلام الفقراء والمهمشين، ما جعلها تتجاوز البعد الفردي لتصبح رمزًا لمأساة شعب بأكمله. ويمكن تحليل هذا النسق عبر المحاور التالية:

١-المرأة (رمز الأرض والوطن)

في العديد من قصائده، يربط السياب بين المرأة والوطن، حيث تصبح المرأة رمزًا للأرض الخصبة التي تمنح الحياة، وهو استلهام من الميثولوجيا والأساطير الشرقية. يتجلى هذا في قصيدة أنشودة المطر، حيث ترمز المرأة إلى العراق الذي يعاني ولكنه يبقى مصدرًا للخصب والتجدد. يقول السياب:

أفياء جيكور أهواها

---

١ بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٢٢

٢ عوض محمد عباس، في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٧٦

كأنها انسرحت من قبرها البالي،
من قبر أمي التي صارت أضالعها التعبي وعيناها
من أرض جيكور .. ترعاني وأرعاها [١]

يعود السياب إلى الماضي (جيكور) من خلال حلم يربط بينه وبين الحاضر، ثم نراه يحلم بوصال في المستقبل. وهنا تبدأ صورة الأم بالظهور، حيث تتداخل مع صورة الوطن الذي يتحول في نظر الشاعر إلى أم تحتضنه، فيتعلق به لهذا السبب، حيث «العلاقة بين الدولة والمواطن هي نسخة صادقة عن العلاقات بين الابن والأب، كما تعتبر العلاقات بين الفرد ووطنه تواصلاً للعلاقات مع الأم» [٢] . الوطن كما يراه السياب هو البديل الحقيقي عن غياب الأم،حيث يتبادلان الرعاية فترعاه ويرعاه . كما يرعى الآباء أبناءهم في الصغر، ويرعى الأبناء آباءهم في الكبر.

٢_ المرأة (الأم)

الأم في شعر السياب تمثل الحنان والحماية، وتظهر بشكل خاص في قصائده التي كتبها خلال فترات مرضه واغترابه، حيث يستحضر صورة الأم كمصدر للأمان. يقول:

كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بأنَّ أمّه– الّتي أَفَاقَ مُنذ عام
فَلَم يجِدها، ثمّ حينَ لَجَّ في السؤال
قالوا له: "بعدغدٍ تعود"...

١ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٢٠

٢ جان لابلانش ، و.ج.ب. بونتالسي، ١٩٨٥، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط:١ .، ١٩٨٥، ص ٤٣٠

لابُدّ أن تعود[1].

تحمل هذه الأبيات مغزى ضمنيًا يعبر عن الخذلان والأمل الزائف. فالطفل الذي يهذي قبل النوم يجسد روحًا تائهة متعلقة بأمل العودة، رغم إدراكها العميق للفقد.

٣_ المرأة والحب الحزين

١. في حياة السياب سبع نساء كما جاء في شعره وهنّ : (وفيقة،هالة، لميعة، ناهدة، لبيبة، لمياء، أليس) . يقول

سأَروي علي مسمعيكِ الغداة

أحاديثَ سمَّيتُهنّ الهوى

وأنباءَ قلبٍ غريق السراب شقي التداني، كئيب النوي

أصيخي فهذي فتاة الحقول وهذا غرام هناك انطوي

أتدرين عن ربّة الراعيات؟ عن الريفِ؟ عمّايكونُ الجَوَي [2]

ولكن لم تكن ثمة علاقة ناجحة مع إحداهن، بل كان حبهن إشفاقًا وتسلية، ورغبة في التغزل بهن في قصائده .ونساء أخريات من قبيل الرمز للمرأة مثل: (هند،سلمى، ليلى). يقول السياب:

وما من عادتي نكرانُ ماضيَّ الذي كانا،

ولكنْ ... كلُّ من أحببتُ قبلك ما أحبوني

ولا عطفوا عليَّ، عشقتُ سبعًا كنَّ أحيانا

ترف شعورهن عليَّ، تحملني إلى الصينِ [3]

---

١ بدر شاكر السياب، أنشودة المطر ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٢م ، ص١٢٤

٢ بدر شاكر السياب: الأعمال الشعرية الكاملة: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م١ – ص ٢٧

٣ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة،ص ٤٦

حاول السياب أن يعوض فقد أمه صغيرًا، وقلة وسامته بالتقرب من المرأة كثيرًا، وتعددت علاقاته العاطفية وتكررت في شعره صورة المرأة المعشوقة التي تكون بعيدة أو غائبة، مما يعكس معاناته الشخصية وتجربته العاطفية القاسية. وغالبًا ما يجسدها في صورة الحبيبة التي لم يستطع الوصول إليها، كما يظهر في العديد من قصائده العاطفية. يقول:

ياليتني أصبحتُ ديواني لأفـرَّ من صدرٍ إلى ثان [١]

في قصيدة (أحبيني) يدعو السياب زوجته(إقبال) أن تحبه؛ لأنَّ كل من أحبَّهُنَّ قبلها لم يُحببنه، وإنما كُنَّ يشفقن عليه، فأصبحت لديه عقدة، وصارلا يثق في حبِّ امرأة،فيطلب من زوجته أن تحبه بصدق، وليس إشفاقًاعليه . يقول:

آه .. زوجتي، قدري أكان الداء
ليقعدني كأني ميتٌ سكران لولاها ؟
وها أنا كلُّ من أحببت قبلك ما أحبوني.
وأنت. لعله الإشفاق !! [٢]

٤-المرأة (ضحية الواقع الاجتماعي)

رصد السياب في بعض أشعاره معاناة المرأة في المجتمع العراقي، سواء في إطار القهر الاجتماعي أو الظروف الاقتصادية الصعبة. ومن أبرز قصائده التي تعكس هذه الرؤية قصيدة المومس العمياء، التي تتناول مأساة امرأة قادها الفقر والاستغلال إلى طريق الضياع.

١ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٠٣
٢ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٦٢

والمومس العجفاء لا « هيلين » والظمأ اللعين

... هلمَّ فالحوذي يبحث عن مسافر

والريح صرٌّ، والبغي بلا زبائن منذ حين [1]

تعكس الأبيات واقعاً اجتماعياً مضطرباً تسوده الحاجة الاقتصادية القاسية، حيث يصبح الإنسان مجبراً على اتخاذ خيارات لا أخلاقية فقط للبقاء على قيد الحياة. وهذا يعكس نسقاً اجتماعياً يقوم على الاضطرار أكثر من الاختيار، مما يبرز غياب العدالة الاجتماعية وتدهور القيم الأخلاقية في ظل الفقر والاستغلال.

٥-المرأة (الأسطورة)

استخدم بعض الشعراء المعاصرين الأساطير بشكل عام، وأسطورة "تموز" البابلية بشكل خاص، في قصائدهم للتعبير عن التجدد والحياة، مما أكسبهم لقب "الشعراء التموزيين". ويأتي في مقدمة هؤلاء بدر شاكر السياب، الشاعر العراقي المعاصر، الذي وظّف الأساطير كرموز في أشعاره بأسلوب غير مسبوق. لم يقتصر استخدامه على الاستلهام التقليدي، بل أبدع مفاهيم جديدة من خلال عبقريته الخاصة عند توظيفها.

يمكن ربط هذه الصورة بأسطورة (عشتار وتموز)، حيث تمثل المرأة رمزًا للحياة والموت والبعث، وهي دلالة واضحة في قصائد السياب التي تعكس صراعه بين الفقدان والأمل.

كان السياب في مرحلة من حياته شغوفًا باستخدام الأساطير والاستفادة من الرموز في أشعاره، وكان يسعى إلى نقل ما يدور في ذهنه إلى القارئ من خلال قالب أسطوري أو رمزي، إلى أن اتصل بالشعراء التموزيين.

---

١ السياب ، أنشودة المطر، ص١٤٨_١٤٩

لم يستخدم أي شاعر عربي الأسطورة والرمز كما استخدمهما بدر، حيث يقول في إحدى قصائده:

تموّز هذا، أتيس

هذا، وهذا الربيع

يا خُبزنا يا أتيس،

أنبت لنا الحبّ وأحيَ اليبيس[١].

برزت أسطورة عشتار في قصيدة " أنشودة المطر" كمحور يرتكز عليه الشاعر في الخاطرة بأفكاره وميوله وعواطفه؛ فجعلها المعادل الموضوعي الذي يجسد من خلاله رؤيته وفلسفته في الحياة.

عشتار هي إلهة الخصوبة والأمّ الأسطورية، وهي محبة لتموز في الأسطورة البابلية التي تُعتبر رمزاً لإعادة الحياة إلى الأرض. يتناول الشاعر هذه الأسطورة في إحدى قصائده المعروفة بعنوان "أنشودة المطر"، حيث يصف المشهد قائلاً:

عيناك غابتا نخيل ساعة السَحَر،

أو شُرفتا راح ينأي عنهما القمر.

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء ... كالأقمار في نهَر [٢]

لم يذكر السياب (عشتار) الإلهة بشكل مباشر، ولكن الصفات التي ذكرها تتعلق بتلك الإلهة بشكل خاص. لكنه يتحدث عن أسطورة (عشتار) من خلال قالب الحبيبة. فالخصائص المرتبطة بهذه السيدة الأسطورية تتمثل في إعادة

١ السياب ، أنشودة المطر، ص ٩٠

٢ السياب ، أنشودة المطر،ص١٢٢

الحياة والخصب إلى الأرض. ونري «الانبعاث الأسطوري في القصيدة عندما تبتسم إلهة الخصب، حيث يقول: عيناك حين تبسمان تورق الكروم» [١].

مما سبق يتضح لنا أنَّ النسق الاجتماعي للمرأة في شعر السياب ظهر متأثرًا بظروفه الشخصية والتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدها عصره، مما جعله يصورها في أدوار متعددة بين الحبيبة، والأم، والوطن، والضحية، والأسطورة، مقدمًا رؤية شعرية غنية بالرموز والمعاني.

٢_ الحياة والموت

يؤمن السياب بأن الموت والتضحية يمثلان المخاض الحقيقي لولادة حياة جديدة تزخر بالعطاء الإنساني النقي، كما أرادت السماء للإنسان الخليفة في الأرض، بعيدًا عن الرياء والتملق والظلم. فقد « كان السياب مفتوناً بالموت ، مثلما كان عاشقاً للحياة ، مسكوناً بحبها » [٢] . يستخدم السياب في ذلك مصطلحًا دينيًا يعكس القدسية، تحديدًا قدسية الرب، حيث يقول السياب :

بعد أن سمروني وألقيت عيني نحو المدينة

كنت لا أعرف السهل وألقيت عيني نحو المدينة

كنت لا أعرف السهل والسور والمقبرة

كان شيء ما ترى العين

كالغابة المزهرة

كان في كل مرمى صليب وأم حزينه

قدس الرب

١ يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، ادار الآداب،، ١٩٩٤م، ص ٥٦

٢ هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة عالم الكتب الحديث ، ٢٠٠٦م ص ٢٧٣

هذا مخاض المدينة [١]

تتجلى في كلماته رؤية نفسية تجاه المصير الإنساني، حيث يرقب بعين شاعرية مشهدًا يمزج بين القداسة والحزن، وبين الفقد والتجدد. تأتي صورة "الغابة المزهرة" كرمز للحياة والخصوبة، لكنها تقابل مباشرة بصور الموت والفقد: "في كل مرمى صليب وأم حزينه". هذا التناقض يعكس إحساس الشاعر العميق بتلازم الحياة والموت، حيث يتشابك الجمال بالحزن، والوجود بالفناء.

كان الموت عند السياب في البداية يعني له موت أمه فقط، ثم «أصبح الموت بشكل عام موت الآخرين» [٢]. يمكننا تبيّن موقفه هذا من خلال قصائده: (فجر السّلام)، (حفّار القبور)، (الأسلحة والأطفال). في كل واحدة من هذه القصائد، رغم اختلافها، يشير إلى أن مصير الإنسان ليس فرديًا منعزلًا، بل هو جزء من المجتمع والتاريخ. حيث يقول:

واخيبتاه! أُلن أعيش بغير موت الآخرين؟

والطيبات: من الرَّغيف، إلى النساء، إلى البنين

هي منّة الموتى، عليّ. فكيف أشفِق بالأنام؟ [٣]

تعكس الأبيات النزعة السوداوية والصراع الداخلي العنيف تجاه فكرة الموت والحياة، حيث يرى الشاعر أن الخيرات التي ينعم بها إنما تأتي نتيجة موت الآخرين، مما يثير لديه تساؤلات أخلاقية قاسية. في الكثير من أشعاره، يبرز السياب فكرة أن الموت هو الذي يمنح الحياة استمراريتها، لكنه في الوقت ذاته يحمل بعدًا مأساويًا.

---

١ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ص ٢٤٨ .

٢ هاني الخير، بدر شاكر السياب – المنهل، ٢٠١٢م، ص ١٧

٣ السياب ، أنشودة المطر، ص ١٦٩

لم يكن السياب ينظر إلى الحياة والموت كمجرد ثنائية بيولوجية، بل تعامل معهما كنسق اجتماعي معقد يعكس صراعات المجتمع وتناقضاته. فالموت عنده ليس مجرد حدث فردي، بل هو جزء من دورة أوسع تشمل الاستغلال، القهر، التجديد، والانبعاث.

الفصل الثاني: النسق الديني

يمثل النسق الديني في شعر بدر شاكر السياب جانبًا مهمًا في تجربته الشعرية، حيث وظّف الرموز والأساطير والمفاهيم الدينية للتعبير عن قضاياه الوجودية والاجتماعية والسياسية ، سواء من التراث الإسلامي أو المسيحي أو حتى الميثولوجيا الإغريقية. ومن أبرز رموزه:

المسيح: استخدمه كرمز للفداء والتضحية، حيث صوّر نفسه أحيانًا كشهيد يعاني من الظلم مثل المسيح.

تموز/أدونيس: استلهم الأسطورة السومرية الخاصة بالإله تموز الذي يموت ثم يبعث من جديد، كرمز للتجدد والانبعاث بعد المعاناة.

أيوب: استخدم شخصية النبي أيوب للتعبير عن الصبر على الألم والمعاناة.

في كثير من قصائده، يظهر السياب صراعًا بين الإنسان والمصير المحتوم، ويعكس أحيانًا رؤى دينية حول القدر والتجربة الإنسانية، كما في قصيدة المسيح بعد الصلب التي تصور الألم كطريق للخلاص.

١_ المسيح

في محاولة للربط بين الموروث الديني وشخصية السيد المسيح (ع) من جهة، والتجربة الشخصية للشاعر في نضاله من أجل شعبه الذي كان يعاني آنذاك من ظلم الحكام المستبدين من جهة أخرى، يؤكد الشاعر أن طريق الأحرار محفوف بالآلام والصعاب. فقد جسّد المسيح (ع) في معاناته مع الصلب والماء والحياة تجربةً سعى من خلالها إلى بناء عالم جديد تسوده العدالة والأمن والسلام، مقدِّمًا نفسه نموذجًا يُحتذى به لمن يسيرون في طريق الحرية والخلود.

ومن هذا المنطلق، وظّف السياب قدرته الشعرية لرسم صورة حادة لشخصية السيد المسيح (ع)، مستلهمًا بعض ملامحه وسيرته، ليجد فيها ما يعينه على مواصلة النهج الثوري نفسه بعد الطفولة.

فالقصيدة، في جوهرها، تعكس نضال السياب من أجل رفع راية العدالة الاجتماعية، مستعينًا بفكرة فداء السيد المسيح (ع) للعالم، حيث يلتقيان في الهدف ذاته. ومع مرور الزمن، انتفض الشعب وحقق ما كان ينادي به كلاهما من عدالة ومساواة.

وقد عبّر السياب عن هذا اللقاء الشعري في قصيدة "**الصبح بعد الصلب**"، حيث يقول:

ألقيت الصخر على صدري

أوَمَا صلبوني أمس فيها ؟ .... منها أنا في قبري

فليأتوا إنِّي في قبري

من يدري أني ؟ .... من يدري؟ [1]

ويشير في هذه الأبيات إلى معاناته الداخلية، في استحضار رمزي لصورة السيد المسيح (ع) التي شكّلت رمزًا للفداء والتضحية من أجل الحق والعدل.

٢-مريم العذراء:

يستعيد الشاعر الذكريات الجميلة عن قريته الصغيرة (جيكور)، في الشتاء، حيث يهطل المطر على النخيل. يستدعي هذا المشهد موقف السيدة مريم العذراء (عليها السلام) عندما وضعت مولودها المبارك، وهي تحاول جاهدة جمع النخيل لتتساقط عليها الرطب، مستلهمًا هذا المعنى من قوله تعالى :﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[مريم:٢٤]. هز النخلة في سياق قصيدة السياب "النخلة الجريحة" يمكن أن يكون معادلاً موضوعيًا لهز النخلة بالنسبة لمريم في العديد من الجوانب الرمزية. في قصيدة السياب، يهز النخيل في جيكور الشتاء كإشارة إلى الحزن والعزلة، ويمثل الشجن الذي يشعر به الشاعر في قلب الطبيعة والمكان الذي ينتمي إليه. بينما في الإشارة لمريم، يمكن أن يكون هز

١ السياب ، أنشودة المطر، ص ١١٣

النخلة رمزًا لاهتزاز الحالة الداخلية أو المشاعر المتأثرة في زمن معين، سواء كان ذلك شعورًا بالعجز أو اليأس أو التوتر.

الارتباط بين هز النخلة ومريم، خاصة إذا اعتبرناها رمزًا لشدتها أو مقاومتها للمصاعب، قد يكون إشارة إلى هشاشة الإنسان في مواجهة الزمن أو التحديات الحياتية، تماما كما يجسد السياب اهتزاز النخيل في مواجهة قسوة الطبيعة.

٣_ أيوب

هناك نوع من القصائد التي أبرزت بعض الشخصيات في صورة مستسلمة وصبورة أمام القدر، متقبلة للمصير. ويظهر ذلك بوضوح في قصيدة "**سفر أيوب**"، التي حظيت بمكانة بارزة في الموروث الإسلامي، رغم أن شخصية أيوب تعود إلى التراث التوراتي. يقول السياب:

لك الحمدُ مهما استطال البلاء
ومهما استبدَّ الألم
لك الحمد ، إن الرزايا عطاء
وأنَّ المصيبات بعض الكرم
ألم تعط أنت هذا الظلام
أنت أعطيتني هذا السحر [١]

وعند إشارة السياب إلى الرموز الدينية، فإن ذلك ينبع من دلالاتها الرمزية العميقة، إلى جانب كونها جزءًا أساسيًا من الثقافة الجمعية العربية. ويسعى الشاعر إلى توظيف هذه الرموز بأسلوب أدبي رمزي، مليء بالحيوية والتفاعل مع الموروث الثقافي.

١ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة،ص ١٥٠

الفصل الثالث :النسق التاريخي

استخدم السياب شخصيات تاريخية وأساطير قديمة لإسقاطها على واقعه السياسي والاجتماعي، مثل جلجامش وعشتار وأوديب، حيث يوظفها لإبراز قضايا الإنسان المعاصر ومعاناته.

كما نجد في شعره استلهامًا من شخصيات وأحداث عربية وإسلامية، مثل حرب البسوس والسير الشعبية، ليربط الماضي بالحاضر، كما فعل في قصيدته "المومس العمياء" حيث ربط بين واقع العراق والسياسات الظالمة في التاريخ الإسلامي.

لقد ربط السياب بين تجربته الشخصية والتاريخ الجمعي، فنجد أنه يوظف معاناته الشخصية (المرض، الفقر، الغربة) ضمن سياق تاريخي أوسع يعبّر عن معاناة أمّته، مما يعطي شعره بعدًا أكثر عمقًا.

١. أبطال الإسلام

استدعى السياب العديد من الشخصيات التي تحمل رمزية معينة تتعلق بالقيم والمثل العليا، حيث عرض أربع شخصيات تمثل العدالة والقدوة والرخاء الحضاري، وهي: عمر بن الخطاب، سيف الدولة الحمداني، صلاح الدين الأيوبي، وهارون الرشيد. وقد تناول السياب هذه الشخصيات في أعماله، مستعرضًا دورهم في تقديم نموذج حضاري وإلهام للأجيال. استدعى السياب ثلاث شخصيات تاريخية تعكس رؤية الشاعر العصرية، وحاجته لهذه النماذج لإعادة التوازن للمجتمع . يقول في قصيدة " بور سعيد"

واستنفر الشرق حتى كاد ميته ... يسعى،أهذا صلاح الدين أم عمر ؟
هذا الذي حدثتنا عنه أنفسنا ... في كل دهياء نبلوها و ننتظر
هذا الذي كلَّ عن سحق لبذرته ... بالخيل والذابلات الروم والتتر
يا أمة تصنع الأقدار من دمها ... لا تيأسي أن سيف الدولة القدر

أعطى لكل انتصار فيك جدته فاخضل واخضلت الآيات والسّور[١]

أثار مشهد الأبطال البواسل في بور سعيد وهم يدافعون عن عن وطنهم أثناء العدوان الثلاثي ، أثار الحماسة الشعرية في نفس السياب ، فتمثلت له شخصيات إسلامية عظيمة أسقطها على الواقع مثل عمر بن الخطاب وسيف الدولة الحمداني، الذين كانوا رموز القوة والعدل، ورفعوا راية الإسلام.

أما الشخصية الرابعة (هارون الرشيد) فقد جاء استدعاؤها في موقف حزين وباكٍ؛ وذلك في قصيدة " إلى مرثية جيكور" التي يبكي فيها على العراق وما أصابه من تمزق وضعف بعد أن ملأ الدنيا حضارة وعلمًا ومجدًا. يقول:

ذلك الكائن الخرافي في جيكور (هومير) شعبه المكدود

جالس القرفصاء في شمس آذار وعيناه في بلاط الرشيد

يمضغ التبغ والتواريخ والأحلام بالشدق والخيال الوئيد [٢]

يضع السياب صورة متناقضة بين شخص جالس القرفصاء في حاضرٍ بائس، لكنه لا يزال متعلقًا بخيال عصر الازدهار والمجد الذي يمثله بلاط هارون الرشيد. هذا يعكس حالة التوق إلى الماضي الذهبي مقارنة بالحاضر المتعب. بالتالي، فإن "بلاط الرشيد" هنا يمثل رمزًا لحضارة زاهية أصبحت في نظر الشاعر مجرد ذكرى عالقة في خيال المتعبين والمنهكين من واقعهم المرير.

٢_ الأحداث التاريخية المهمة

يتخذ السياب من السيرة النبوية بعض الأنساق التاريخية المهمة التي يوظفها لتأكيد فكرته وتوضيحها . يقول السياب عن الرسول محمد صلى اللهعليه

١ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٦٨

٢ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة،ص ٢٢٢

وسلم معبرًا عن صعوبة حياته وقد فقد أمه وأباه صغيرًا، وهو ما يشبهحالة السياب حيث فقد أمه وهو صغير:

محمد اليتيم أحرقوه فالمساء

يضيء من حريقه ، وفارت الدماء [1]

ومن الأحداث المهمة في السيرة النبوية نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في غراء حراء. كذلك رحلة الإسراء والمعراج، فهو يستدعي حالة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الغار ينتظر نزول الوحي، وكأن العراق ينتظر نزول الوحي أيضا ليخلصهم مما هم فيه. أما البراق فهو دابة دون الحمار وفوق البغل، يذكرها الشاعر هنا كرمز للطعام الذي تنتظره الجياع في العراق. يقول السياب:

محمد النبي في حراء قيدوه

ستأكل الكلاب من دم البراق" [2]

فهو بهذه الأبيات لا ينقل إلينا الجو الديني كما كان ، بل يقدم لنا صورة العذاب الذي عاناه سيدنا محمد _ صلى الله عليه وسلم_ أكثر مما يجسم صورة النصر .

ومحمد _صلى الله عليه وسلم _ في التاريخ لم يكن شهيدًا – حسب الاصطلاح المتولد_ ، بل كان رمزًا للموقف والنضال .

تتعدد الأنساق التاريخية في قصيدة "مرثية جيكور"، حيث يقدم الشاعر سلسلة من الإشارات التاريخية التي يقدمها بأسلوب استهتاري. إذ يرمز إلى

١السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ص ٤٦٧

٢ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ص ٤٦٨

التاريخ من خلال ذكر عصر "تعبان بن عيسى"، وربما كان اختيار هذا الاسم المقصود هو لتجسيد معاناته وعذابه. يقول:

لا عليك السلام يا عصر (تعبان بن عيسى) وهنت بين العهود
ها هو الآن فحمة تنخر الديدان فيها فتلتظي من جديد
ذلك الكائن الخرافي في جيكور هومير شعبه المكدود
جالس القرفصاء في شمس آذار وعيناه في بلاط الرشيد
يمضغ التبغ والتواريخ والأحلام بالشدق والخيال الوئيد [١]

لقد سئم الشاعر من حالة الفراغ التي وصل إليها نتيجة لتكرار العادات مثل مضغ التبغ والتواريخ والأحلام. ثم يذكر حرب البسوس ومقتل الحسين. في إشارات إلى الحالة القلقة والمضطربة في العراق، وكأنه يستعيد تلك الأحداث التي كانت سببًا في الشقاق والخلاف بين العرب عامة والعراقيين خاصة يقول:

ما تزال البسوس محمومة الخيل لديه و ما خبا من يزيد
نار عينين ألقتاها على الشمر ظلالا مذبحات الوريد
كلما لز شمره الخيل أو عرى أبو زيده التحام الجنود
شد راحا و أطلق المغزل الدوّار يدحوه للمدار الجديد [2]

ارتبطت حرب البسوس، بصراع طويل بين قبيلتي بكر وتغلب، ولكنها ماتزال قائمة بين العرب.كما استدعوا شخصية يزيد،الذي أمر (الشمر) بقتل (الحسين) وكان يرتدي ثيابًا حمراء، و يستدعي أيضًا (أبو زيد الهلالي) الذي اشتهر بملاحمه البطولية.

تعكس هذه الإشارات جميعها رمزًا للحرب المتكررة التي لا طائل منها، وهو معنى يؤكد عليه الشاعر مرارًا. ومن التصوف، نجد الشاعر يستدعي"ابن حلاج"، وهو تحريف لاسم الحلاج. ٨٥٨م– ٩٣٢م)، إذ يقول:

١ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٠٧

٢ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٠٧

ويا عهد كنا كابن حلاج واحد

مع الله إن ضاع الورى فهو ضائع [1]

ثم يستدعي شخصية الحسن البصري كنسق تاريخي ، حيث جاب الحسن البصري بلاد(واق الواق) بحثًا عن الذهب ، والسياب جاب البلاد بحثا عن الشفاء.

الحسن البصري جاب أرض واق الواق

ولندنَ الحديد والصخر

فما رأى أحسن عيشًا منه العراق[٢]

فهو يتخيل نفسه الحسن البصري الذي يمكن أن يكون أحد الحسنين أو كليهما معًا:الحسن البصري الصوفي (ولد في البصرة ٦٤٢م – ٧٢٨) ، وحسن الصائغ البصري الرحالة الوارد ذكره في قصص ألف ليلة وليلة، الذي كان يبحث عن الذهب [٣]، ويبدو أنَّه يقصد حسن الصائغ البصري الرحالة ، بسبب تعدد رحلات السياب في مرضه من إيران إلى الكويت بحثا عن الشفاء؛ وما يؤكد ذلك قوله(جاب أرض واق الواق).

إن النسق التاريخي في شعر السياب ليس مجرد استحضار للتاريخ، بل هو وسيلة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل. من خلال دمج الماضي بالحاضر.

---

١ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص،٣٥٤

٢ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ص٣٠١

٣ كتاب ألف ليلة وليلة،ج٤، المطبعة الكاسوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت ، ١٨٩٠م ،ص٢٦٢

الفصل الرابع :النسق الأدبي .

يستند شعر السياب إلى تعددية نصية متشابكة، حيث يستدعي نصوصًا قديمة ويعيد تشكيلها وفق رؤيته الشعرية، مما يخلق دلالات جديدة تتجاوز أصولها المرجعية. ويتجلى هذا النسق الأدبي في استحضاره للشعر الجاهلي والعباسي، واستلهامه للنص القرآني، بالإضافة إلى توظيفه للأسطورة السومرية والإغريقية كوسائل تعبيرية تعكس قضايا الذات والمجتمع. كما يتفاعل شعره مع المدارس الأدبية الغربية، لا سيما الرمزية والحداثة الشعرية كما تجلت عند (إليوت) و(بودلير)، مما جعله في طليعة المجددين الذين دمجوا بين التراث والتجريب.

١_ الموروث الشعبي

يرتبط الموروث الشعبي لدى مختلف الأمم بالطقوس الدينية، فيصبح جزءًا من الدين سواء بمعناه التقليدي أو الشعبي، حيث يتجلى في مجموعة من الاعتقادات والعادات المتوارثة التي حفظتها الذاكرة الإنسانية عبر العصور، وقد عبّر السياب عن هذا التوظيف في **قصيدته** "**المومس العمياء** "حيث قال:

يأجوج يغرز فيه من حنق، أظافره الطويله
وبعض جندله الأصم، وكف ماجوج ثقيله
تهوي، كأعنف ما تكون، على جلامدة الضخام
والسور باقٍ لا يثل... وسوف يبقى ألف عام
لكن (إن شاء الإله)
طفلٌ كذلك سمياه
سيهبُّ ذات ضحى ويقلع ذلك السور الكبير[١]

١ السياب، أنشودة المطر، ص ١٥٧

إن شخصيتي **يأجوج وماجوج** من الشخصيات القرآنية، إلا أن السياب لم يوظفهما في سياق ديني مباشر، بل أعطاهما بُعدًا شعبيًا مستوحى من الاعتقاد الشائع بأنهما « يلحسان السور بألسنتهما حتى يصبح هشًا كقشرة البصل. غير أنهما، كلما أجهدهما التعب، يؤجلان هدمه إلى اليوم التالي، ليجداه صباحًا كما كان صلبًا قويًا. ويستمر هذا الحال إلى أن يولد لهما طفل يسمّيانه **(إن. شاء الإله)**، ثم يتمكن من تحطيم السور» [١]..

يرتبط شعر السياب بالبيئة الجنوبية للعراق، وخاصة قريته "جيكور"، حيث يستخدمها كرمز للأم والوطن المفقود، مما يجعل الموروث الشعبي جزءًا من تجربته الشخصية والوجودية.

ومن الأنساق الشعبية التي اتسقت مع عواطف الشاعر وأفكاره الأغاني الشعبية العراقية التي أسهمت بطبيعتها العفوية وبساطتها في التأثير على لغة الأداء الشعري الحديث، مما منح القصيدة ارتباطًا بالذاكرة، سواء بالماضي القريب أو البعيد، أو بالتراث. و« قد انعكس التفاعل مع التراث الشعبي في بناء القصيدة الحديثة، مما أضفى عليها طابعًا منسجمًا ومتفاعلاً مع السياق الاجتماعي» [٢]. كان لهذا التأثير حضور واضح في تجربة بدر شاكر السياب، حيث تفاعل معه بعمق وإثارة في الشعر العراقي، كما يظهر في قصيدته (مرثية جيكور) التي استلهم فيها أغنية (شيخ اسمه الله)[٣] وقد أنشد السياب قائلاً:

---

١ السياب، أنشودة المطر، هامش ص ١٥٧

٢ مناف جلال عبد المطلب، الرمز في شعر السياب، الموسوعة الثقافية، ٧١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٣٦

٣ يغني الخورس أغنيتين عراقيتين شعبيتين. ، شيخ اسم الله: نبات كالحلفاء تؤكل أزهاره وهي في براعمها، وتتفتح عن سنابل تشبه الرؤوس التي شابت

خورس :

شيخ اسم الله ترللا

قد شاب ترلَّ ترلَّ ترار وماهلا

ترلل العيد ترللا

ترللا عرس (حمادي)

زغردن ترلَّ ترللا

والنقش صناعة بغداد [١]

كما استحضر في قصيدة (المومس العمياء) أغنية شعبية قائلاً:

... وتلوب أغنية قديمة

في نفسها وصدى يوشوش: « يا سليمة ، يا سليمة» [٢]

ويل الرجال الأغبياء، وويلها هي ، من عماها [٣]

من المُلاحظ أن السياب، في توظيفه للموروث الشعبي، سعى إلى إضفاء بعدٍ أدبي يسهم في تحفيز الأدباء على استلهام هذا التراث في إبداعاتهم الفنية، مستفيدًا من الأمثال، والحكايات، والأغاني، والمعتقدات الشعبية لصياغة صور وقيم فنية متجددة تناسب التوظيف المعاصر.

ومن قصص ألف ليلة وليلة اتخذ السندباد– صاحب الرحلات السبع ، رمزًا للسياب نفسه ؛ ففي حياة السياب ضياع ، والسندباد قالب أو قناع يصب فيه الشاعر معاناته واقتحامه وأسفاره ، فيقول عن نفسه:

---

١ السياب، الأعمال الكاملة، ص ٤٦

٢ أغنية شعبية : سليمة يا سليمة، نامت عيون الناس (كلبي) قلبي ش ينيمه

٣ السياب، أنشودة المطر، ص ١٥٨

مثل سندباد يسير حول بيضة الرخ ولا يكاد [١]

ويخاطب زوجته المنتظرة:

وجلست تنتظرين عودة سندباد من السفار [٢]

أما هو:

فُلْكُ سندباد ضل في البحر

حتى أتى جزيرة تهمس في شطآنها المحار [٣]

أما (أبو زيد الهلالي) فهو أحد أبرز الأبطال في التراث العربي الشعبي، حيث يُجسِّد قيم البطولة والشجاعة والمروءة. في السيرة الهلالية، يصوَّر كشخصية أسطورية تتنقل بين الواقع والخيال، ممزوجة بروح الفروسية والحكمة.. يقول السياب:

كلما لز شمره الخيل أو عرى أبو زيده التحام الجنود

شد راحًا وأطلق المغزل الدوار يدحوه للمدار الجديد [٤]

تحمل الأبيات نسقًا تاريخيًا مرتبطًا بثنائية الحرب والسلم، حيث تبرز صورة الفارس (أبو زيد) الذي يعبر عن الشجاعة والقتال عند اشتداد المعارك، بينما يُقابل ذلك مشهد السلم من خلال تصوير عملية الغزل، والتي ترمز إلى الاستقرار وإعادة البناء بعد الصراع.

٢_ التناص

يشكل التناص أحد أبرز العناصر الراسخة في شعرية السياب، حيث يسعى من خلاله إلى تحقيق مزج فريد بين البعد الشخصي، الذي يعكس تجربته

١ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦٠٤

٢ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٢٩

٣ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦٥٤

٤ السياب، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٠٧

الحياتية الخاصة، والبعد العام المستمد من معايشاته الخارجية واستجاباته لها. ويؤدي هذا التفاعل إلى تشكيل نواة انفعالاته بالموروث الحاضر في تجربته الشعرية.

تأثر السياب بعدد من الشعراء الغربيين، وعلى رأسهم "ت. س. إليوت". فقد كان معظم شعراء تيار الحداثة في الشعر العربي يستلهمون الخطاب الشعري الإليوتي، وخاصة من قصيدته الشهيرة "**The Waste Land**" الأرض الخراب، أو الأرض اليباب.

تبدأ تجليات التناص بالظهور تدريجيًا، حيث نجد السياب يفتتح قصيدته بقوله:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
و ترقص الأضواء كالأقمار في نهر
يرجه المجداف وهنا سلعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما النجوم [١]

ويتجلى التناص هنا « مع الأبيات الأولى التي يفتتح بها (إليوت) الأرض الخراب، حيث يقول:

أبريل، أقسى الشهور
تتناسل فيه زهور الزنبق في الأرض الميتة
و تختلط الرغبة بالذكرى
و تنتفض الجذور الخاملة بمطر الربيع»[٢].

١ السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٧٤

٢ رمضان الصباغ ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، ص٣٥١.

التناص في المقطعين بين شعر السياب وقصيدة إليوت "The Waste Land" يظهر من خلال التأثيرات الواضحة التي أخذها السياب من إليوت في بناء صور شعرية معينة، واستخدامه للمفردات والرموز التي تتقاطع مع ما ورد في القصيدة الإليوتية.

التناص بين المقطعين يتجسد في اشتراكهما في استخدام الرمزية المرتبطة بالطبيعة (النهر، الأشجار، النجوم)، والتداخل بين الصور الجميلة التي تحيل إلى الحياة والتجدد، والصور الأخرى التي ترتبط بالخراب والموت، وهو ما كان جزءًا من خطاب إليوت الشعري في "The Waste Land".

وثمة تناص آخر في إطار النسق الأدبي وهو **التناص القرآني** حيث وظف السياب الآية القرآنية التي تعبر عن هلاك ثمود الذين قطعوا الصخر في الوادي واتخذوا بيوتهم في الجبال ليتحاموا فيها قال تعالى: ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ سورة [الفجر :٩] استعملها في قوله:

لم تترك الرياح من ثمود

في الواد من أثر [١]

تبين الآية الكريمة أن ثمود خرقوا الصخور التي في الوادي واتخذوها بيوتًا لهم[٢]، وثمود قوم كفروا وكذبوا بنبي الله صالح عليه السلام وهمُّوا بقتله، فبعث الله عليهم صخرة من الهضبة انطبقت عليهم وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم. [٣]

---

١ السياب ، الأعمال الكاملة، ،ص٤٧٧

٢ ينظر: تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن ، الإمام ابن جعفر محمد جرير الطبري ، سورة الفجر ،ص٢٠٤.

٣ ينظر: تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ج٥، ط١، دار الثقافة ١٩٩٠، الجزائر ،ص١٤٦

ويعود استخدام السياب وإشارته إلى قصة ثمود قوم صالح عليه السلام، إلى خوفه من أن يحل بأهل العراق ما حل بثمود ولا يبقى لهم أثر، فإما يكون هلاكهم بعواصف الخليج، وإما الجوع الذي خيم على العراق بسبب العابثين وسيطرة طبقة الانتهازيين والحكام الفاسدين في العراق آنذاك.

وتوظيف السياب لثمود في أشعاره مرتبط بالدلالة على مجموعة بشرية شريرة. وعلى الأرجح أن قوم عاد وثمود كانوا من عبدة تموز، وهناك من يقول بأن ثمود هو تموز[١].

١ أيمان محمد أمين الكيالني ، بدر شاكر السياب ، دراسة أسلوبية لشعره ، دار وائل ، عمان ، ط١ ٢٠٠٨.، ص ١٣٦.

الخاتمة:

تشتمل الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي منحت الشاعر سمة الخصوصية من بين شعراء الحداثة:

١. مزج تجاربه الخاصة بالتجربة العامة للمجتمع العراقي والعربي.
٢. القارئ لشعر السياب يجد أن هناك تجارب معينة تلح عليه وتستولي على دواوينه وقصائده، مما يجعله انعكاسًا للأنساق الثقافية المنتشرة في ذلك الوقت.
٣. تنوعت مشاعره أثناء كتابة قصائده، منها تجربة العذاب بالشعر والفرح به والاعتزاز بالدخول في مملكته، ومنها تجربة الوطن بوصفه قيمة عليا وملاذًا للإنسان في الحياة، وغربة روحه وعذابه الداخلي، وكذلك غربته الخاصة.
٤. تأثر السياب بالشاعر الإنجليزي (ت.س. إليوت) في قصيدة الأرض اليباب.
٥. المبالغة في استخدام الرمز والأسطورة.
٦. تنوعت الأنساق الثقافية في شعره عاكسة ثقافة الشاعر العربية والأجنبية.

المصادر

- القرآن الكريم

١. ابن منظور – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م

٢. إحسان عباس : بدر شاكر السياب ،دار الثقافة ، بيروت – ١٩٦٩ م

٣. أحمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، ج٥ ،باب(النون والسين) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،دط،دت

٤. أحمد يوسف، القراءة النسقية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ناشرون، الجزائر،ط١، ٢٠٠٧م

٥. إيمان محمد أمين الكيالني ، بدر شاكر السياب ، دراسة أسلوبية لشعره ، دار وائل ، عمان ، ط١ ٢٠٠٨م

٦. بدر شاكر السياب، أنشودة المطر ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢٢م (٢) اعمال الشعرية الكاملة: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م

٧. جان لابلانش ، و.ج.ب. بونتالسي، ١٩٨٥، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط:١. ، ١٩٨٥م

٨. الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم ، ج٥، ط١، دار الثقافة، الجزائر ١٩٩٠م .

٩. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،ج٤ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط ١ ١٤٢٤ ، ه ٢٠٠٣، م

١٠.رمضان الصباغ ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، ص٣٥١.

١١.عباس عبد الجبار ، المرأة في شعر السياب، مجلة أفكار ١٩٧٩م

١٢.عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م
(٢) مقدمة كتاب الشعرية والثقافة، حسن البنا عز الدين، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط١، ٢٠٠٥
١٣.عز الدين المناصرة ، علم الشعريات قراءة مونتاجية في أدبية الأدب ، دار مجلاوي ، عمان ،ط ، ١ ٢٠٠٧م
١٤.عوض محمد عباس، في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م
١٥.القاسم بن علي بن محمد بن عثمن الحريري، أبو محمد / طبع مدينة باربر/ الجزائر كتاب المقامات: ١٨٩٠م
١٦.كتاب ألف ليلة وليلة،ج٤، المطبعة الكاسوليكية للآباء اليسوعيين ،بيروت ، ١٨٩٠م
١٧.محمد جرير الطبري ،تفسير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ، سورة الفجر
١٨.مناف جلال عبد المطلب، الرمز في شعر السياب، الموسوعة الثقافية، ٧١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
١٩.هاني الخير، بدر شاكر السياب – المنهل، ٢٠١٢م
٢٠.هاني نصر الله، البروج الرمزية (دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة عالم الكتب الحديث ، ٢٠٠٦م
٢١.يوسف حلاوي، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، ١٩٩٤م